المحاضرة الثانية عشر: الصحافة الأهلية

تُعد الصحافة الأهلية في الجزائر ملمحاً بارزاً من ملامح المقاومة الثقافية التي خاضتها النخبة الفكرية للحفاظ على الهوية الوطنية وحماية الثوابت الإسلامية في ظل واقع استعماري معقد. وقد مثلت هذه المنابر الإعلامية صوتاً أصيلاً عبّر عن انشغالات الجزائريين وآمالهم من خلال إدارة وتسيير وطني خالص، سعى لتسليط الضوء على المظالم الاجتماعية والسياسية ضمن الحيز المتاح؛ فما هي الظروف التاريخية والسياقات السياسية التي حفت بنشأة الصحافة الأهلية، وكيف تبلورت مراحل تطورها، وما هي أبرز العناوين الصحفية التي تصدرت المشهد الإعلامي في تلك الحقبة؟.

1. الصحافة الأهلية الجزائرية: من تبلور المفهوم إلى إرهاصات النشأة والتكوين

تعتبر الصحافة الأهلية في التاريخ الجزائري الحديث ركيزة أساسية في تشكيل الوعي الوطني والهوية الثقافية خلال الحقبة الاستعمارية، حيث برزت كصوتٍ بديل يحاول إيجاد مساحة للتعبير ضمن توازنات حرجة؛ "**ونقصد بهذا النوع تلك الصحافة التي يقوم بها المسلمون الجزائريون من ناحية التسيير الإداري والمالي ومن ناحية التحرير والتوزيع ويكون مضمونها يتعلق بالقضايا الإسلامية الجزائرية وبشؤونهم العامة في علاقتهم بالوجود الإستعماري بالجزائر مع الإعتراف المطلق بهذا الوجود**" [1] وهو تعريف يعكس طبيعة المرحلة التي فرضت على النخبة الجزائرية الموازنة بين الحفاظ على المقومات الشخصية الوطنية وبين الإكراهات القانونية والسياسية التي فرضها المحتل. وقد استطاعت هذه الصحف رغم اعترافها الاضطراري بالواقع الاستعماري كإطار قانوني لنشاطها، أن تتحول إلى منبر للدفاع عن حقوق الجزائريين ومواجهة سياسات التغريب.

شهدت الصحافة الأهلية في الجزائر تطوراً ملحوظاً انطلاقاً من أواخر القرن التاسع عشر، متأثرةً بتغير الظروف السياسية وتبدل اهتمامات السلطات الحاكمة بشؤون السكان الأصليين؛ حيث مثلت جريدة "الحق" التي تأسست في عنابة عام 1893م أولى هذه المبادرات. وقد برزت "الحق" كلِسان حال الأهالي ساعيةً إلى تحليل الأسباب الجذرية للوضع المعاش وإظهار جور القوانين الاستيطانية الفرنسية وعدائها للمسلمين الجزائريين، مما أدى في النهاية إلى إرغامها على التوقف. تلت ذلك فترة انقطاع لعشر سنوات، قبل أن تشهد الساحة الإعلامية عودة لهذا النوع من الصحافة

---

[1] زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص 32.

عام 1903م مع صدور كل من جريدتي "المغرب" و"المصباح". ومع توالي صدور صحف قليلة ومتقطعة الأمد، مثلت سنة 1907م نقطة تحول حاسمة والانطلاقة الفعلية للصحافة الأهلية عندما صدرت جريدة "كوكب إفريقيا" في مدينة الجزائر، لتشهد الفترة التي تلتها استمرارية غير منقطعة لهذا التيار الصحفي الهام [2].

2. مراحل تطور الصحافة الأهلية في الجزائر

مرّت الصحافة الأهلية في الجزائر بمسارٍ زمني متذبذب خضع لتحولات سياسية واجتماعية كبرى، حيث انتقلت من محاولات التأسيس الأولى المحفوفة بالقيود إلى مرحلة الاستقرار والانتشار الفعلي كقوة إعلامية مؤثرة [3]:

أ. طور الإنطلاق والرعاية: شهدت الفترة الممتدة من ظهور جريدة "كوكب إفريقيا" وحتى اختفاء جريدة "الأقدام" عام 1923م نشاطاً صحفياً ملحوظاً، تميز بزيادة عدد الصحف الأهلية وديمومتها النسبية. يُعزى هذا الازدهار إلى الرعاية غير المباشرة التي كانت تقدّمها السلطات الاستعمارية لهذا القطاع الإعلامي في سياق سياسي معين.

ب. طور القمع والصمود: اتسمت الحقبة الممتدة بين عامي 1923م و1935م بتصاعد التضييق الاستعماري، حيث فرضت الإدارة الفرنسية رقابة صارمة ميزت فيها بين الصحافة الناطقة بالعربية والناطقة بالفرنسية لكبح التأثير الثقافي والديني. وقد واكب ذلك إصدار قوانين استثنائية جائرة، مثل "قانون الأهالي"، بهدف خنق الأقلام الوطنية ومنعها من التواصل مع الجماهير وتوعيتهم بحقوقهم المسلوبة.

ج. طور النضج : بدأ هذا الطور الحاسم في عام 1935م، متزامناً مع بزوغ "البصائر"، المنبر الإعلامي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تميزت باستمراريتها اللافتة دون مضايقات مباشرة من الإدارة الاستعمارية. وقد استمرت هذه المرحلة حتى عام 1943م، التاريخ الذي شهد

---

[2] ينظر: فتيحة بن جدو، أحمد عبدلي، الصحف الأهلية الساخرة في الجزائر قبل 1954م – دراسة إحصائية وصفية–، مجلة المعيار، مج 29، ع 04، سنة 2025، ص 860.

[3] ينظر: زهير إحدادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ص 34– 38 .

تقديم "البيان الجزائري" لقوات الحلفاء المتمركزة في الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، مؤذناً بانتهاء مرحلة وبدء مرحلة جديدة من المطالب السياسية.

إن تتبع هذه المراحل الثلاث يكشف عن مسارٍ تصاعدي للصحافة الأهلية التي تكيفت مع مختلف الظروف السياسية والضغوط الاستعمارية. فمن مرحلة الانتعاش النسبي والتمكين، مروراً بمرحلة التضييق الرقابي والتمييز اللغوي، وصولاً إلى مرحلة النضج الفكري والسياسي، استطاعت هذه الصحف أن تنتقل من مجرد منابر لنشر الأخبار إلى أدوات حقيقية لصياغة الرأي العام الوطني ممهدةً الطريق لتحولات سياسية كبرى في تاريخ الجزائر المعاصر.

3. أبرز نماذج الصحافة الأهلية في الجزائر

1.3جريدة الحق : تعد جريدة "الحق" حجر الزاوية في صرح الصحافة الأهلية الجزائرية، إذ كانت أول مولود إعلامي يطلقه المسلمون الجزائريون من مدينة عنابة عام 1893م. بدأت الجريدة مسارها كدورية أسبوعية ناطقة بالفرنسية لتخاطب الإدارة الاستعمارية بلغتها، لكنها واجهت تضييقاً ودسائس محلية أدت لتوقفها القسري لثمانية أشهر. ومع مطلع عام 1894م وتحديداً في عددها السادس عشر، انتقلت إلى مرحلة "الازدواج اللغوي" بإدراج اللغة العربية مما جعلها منبراً دفاعياً يجمع بين الأصالة والهجوم السياسي. ولم يقتصر دورها على نقل الأخبار بل كانت أداة لكشف تجاوزات "قانون الأهالي" الجائر، مما أثار حفيظة السلطات الفرنسية التي سارعت إلى تعطيلها نهائياً بعد عام واحد، خوفاً من تحولها إلى قطب يلتف حوله الوعي الوطني الناشئ[4].

تبنت جريدة "**الحق** "دوراً رياديا في تاريخ الكفاح الإعلامي الجزائري، حيث ارتكزت استراتيجيتها النضالية على الدفاع المستميت عن الحقوق السياسية والاجتماعية للأهالي، وتجلى ذلك بوضوح في موقفها الراديكالي الرافض لترسانة **القوانين الاستثنائية** الجائرة وعلى رأسها "قانون الأهالي". وما ميّز خطابها الإعلامي هو تلك المقاربة الجريئة التي طالبت من خلالها بـ "**المساواة التامة** "في المواطنة، مع التمسك الصارم بـ **الخصوصية الهوياتية** المتمثلة في الأحوال الشخصية الإسلامية؛ وهو طرحٌ كان يصطدم مباشرة مع العقيدة الاستعمارية القائمة على الاندماج المشروط بالتخلي عن

---

[4] ينظر: عبد الملك مرتاض، آداب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830– 1962م، دار الهومة، ج02، الجزائر، 2009، ص69.

الثوابت. وأمام هذا النفس التحرري، استشعرت الإدارة الفرنسية خطر الجريدة، مما دفع بوالي قسنطينة إلى التدخل شخصياً لدى وزارة الداخلية لتعطيلها، ليكون العدد الحادي والعشرون خاتمة مسيرة ثمانية عشر شهراً من المقاومة الفكرية التي مهدت الطريق لنشوء وعي وطني منظم[5].

2.3 جريدة المصباح: تُعد هذه الجريدة نموذجاً للمنابر الإعلامية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين بجهة الغرب الجزائري، حيث " **صدرت بمدينة وهران في جوان عام 1904م، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة باللغة العربية والفرنسية تحت إشراف (العربي فخار) وتسعى إلى تحقيق شعارها (لفرنسا بالأهالي)** [6] ، ويعكس هذا التوجه طبيعة المرحلة التاريخية التي حاولت فيها بعض النخب الجزائرية الموازنة بين الحفاظ على اللغة الأم واستخدام لغة الإدارة الاستعمارية كوسيلة للوساطة السياسية وتحقيق مكتسبات اجتماعية ضمن الإطار القانوني القائم آنذاك.

ختاماً لم تكن الصحافة الأهلية قبل الاستقلال مجرد وسيلة لنشر الأخبار، بل كانت خندقاً للمقاومة الفكرية ومنبراً حراً صاغ الهوية الوطنية في مواجهة السياسات الاستعمارية؛ ورغم ما واجهته من تضييق ورقابة مشددة إلا أنها نجحت في إيقاظ الوعي الجمعي وحشد الطاقات الشعبية نحو هدف التحرر، لتظل تجربتها الرائدة شاهداً تاريخياً على قوة الكلمة وعمق تأثير الإعلام حينما ينحاز كلياً لقضايا الوطن وتطلعات الشعوب.

---

[5] ينظر: صبرينة الواعر، الصحافة الأهلية أواخر القرن التاسع عشر الحق البوني أنموذجا (1894/1893)، مجلة المعيار، مج 25، ع 59، 2021، ص 325.

[6] محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847م إلى 1954 م، ألفا ديزاين، ط2، الجزائر، 2006، ص32.